



الانطباعية عند طه حسين

الدكتور حميد رضا مشايخي
استاذ مشارك، قسم الأدب العربي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة
مازندران، ايران
الدكتور مصطفى كمالجو
استاذ مشارك، قسم الأدب العربي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة
مازندران، ايران
سلامه حاكم جاسم الصافي
طالبة دكتوراه، قسم الأدب العربي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة
مازندران، ايران



Impressionism According to Taha Hussein

Dr. Hamid Reza Mashaikhi

Assistant Professor, Department of Arabic Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, University of Mazandaran, Iran

Mashayekhhih@umz.ac.ir

Dr. Mustafa Kamaljo

Associate Professor, Department of Arabic Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, University of Mazandaran, Iran

kamaljoo@umz.ac.ir

Salama Hakim Jassim Al-Safi

PhD student, Department of Arabic Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, University of Mazandaran, Iran

ssu119039@gmail.com



المستخلص

انطلاقاً من تعريف الانطباعية ، والتعريف المبسط عن هذه المدرسة الأدبية ، وما تحتويه من تركيز على الأديب نفسه ، في معالجته لأحد القضايا المستقاة من واقعه الذي يعيشه ، والحكم عليها عبر انطباعه الخاص منها ؛ فكان بحثنا هذا بهدف دراسة مسألة تأثير الانطباعية على شعره الذي لم يكن مكثرأ منه بطبيعة الحال ، ولكن قصائده القليلة ، كانت كافية لرسم ملامح شخصيته وانطباعاته تجاه القضايا التي أثارها ، ونظم فيها شعره وحلوله التي وضعها ، والمنسجمة مع يقينه الخاص ورؤيته الذاتية تجاه كل قضية يعينها . وقد اعتمدنا على المنهج النقدي الذي يتعلق بقراءة الناقد للنص ، وتوصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي : أن صفات شخصية طه حسين هي حزين على واقع أمته ، ومناضل ضد التخريفات والأضاليل التي انتشرت في عصره ، و يحب أرض مصر كثيراً ؛ ولكنه كثير اللوم لأبنائها الذين فرطوا بها ، ودعوته لهم للخروج من واقعهم ، و قنوع النفس لا يتأثر بمناصب خطاباته، ويغلب المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، ومتعقل وهادئ ومتروفي في الهجاء ، يدعو الطرف الآخر لإعادة النظر . وهذه الصفات تبدو جلية وواضحة في أشعاره ، وهذا مرده للانطباع الخاص الذي يطبعه طه حسين لمنتجاته الشعرية ، فمن خلالها تعرف صفاته المعنوية، بالإضافة إلى مواضيعه التي يتحدث عنها، والتي استقاها من واقعه وكذلك الحلول التي يقدمها نابغة من رؤيته الخاصة.

الكلمات المفتاحية: الانطباعية، الشعر، النقد، طه حسين، الفن.

Abstract

Based on the definition of impressionism and the simplified definition of this literary school and the focus it contains on the writer himself in his treatment of one of the issues drawn from the reality in which he lives and judging it through his own Impression of it, our research was with the aim of studying the Impact of the Issue of the influence of impressionism on his poetry, which was not abundant In it, of course. At the beginning of his life, he composed some poems and did not continue later. We did not find a single collection of poetry by him, but his few poems were sufficient to outline the features of his personality and his impressions regarding the issues that he raised and in which he composed his poetry and the solutions that he developed that were consistent with his own certainty and personal vision regarding each specific issue. We have relied on The descriptive analytical approach and we reached a set of results, which are that the personality traits of Taha Hussein are sad about the reality of his nation and a fighter against the superstitions and deceptions that spread in his time. He loves the land of Egypt very much, but he blames its sons who neglected it and called on them to get out of their reality and self-satisfaction not affected by positions. His preachers, he puts the public interest above his personal interest, and he is a sincere lover. In his sentimental poetry, there are qualities of virginal love crowned with purity and a call for true love far from desires. He is sensible, calm, and deliberate in his satire, calling on the other party to reconsider. These qualities appear clearly and clearly in his poetry, and this is due to the special impression that Taha Hussein gives. Through his poetic products, his moral qualities are known, In addition to the topics he talks about that he derived from his reality, as well as the solutions he presents stemming from his own vision.

Keywords: impressionism, poetry, criticism, Taha Hussein, art

المقدمة:

تنسب الانطباعية إلى لوحة فنية تشكيلية يرسمها أحد الفنانين عبر انطباعه ، من خلال منهجه الذاتي الحر، حيث ينقل للقارئ ما يشعر به تجاه النص الأدبي، تبعاً لواقع تأثره بما يجري، دون تدخل عقلي أو تفكير منطقي صارم، وسيلته ذوقه الفردي الذي يعكس تأثر ذاته بموضوعه الذي يقف أمامه، فيستغل الموضوع الأساسي ويتحدث عن ذاته وأفكاره الخاصة ، وما يتبادر إلى ذهنه من مشاعر وذكريات.

لقد أجمعت جملة من الدراسات على أن طه حسين هو زعيم النقد الانطباعي ، حتى وهو في عز التحامه بالنص الأدبي ؛ لأن الحضور الانطباعي ضرورة يقتضيها النقص الذي يواجه الناقد أو المؤرخ، فنراه يحارب القواعد العلمية والمعايير النقدية وينتصر للذوق الذاتي، يفر في استحسان النصوص أو استهجانها، على السواء، كثرة الهوامش والخواطر والذكريات، والفضاءات القصية، طغيان ضمير المتكلم أنا وصيغة أفعال التفضيل وسائر ما يدل على الانفعال.

لقد تأثر منهج طه حسين في النقد بالمناهج الغربية، ففي بداياته الأولى كان منهجه مزيجاً من النقد الانطباعي الذي يقوم على الذاتية، وبين المنهج الفني، كما حاول أن يشمل النص الشعر القديم بدراساته على اختلاف مراحلها.

٣- قسم المفاهيم والنظريات:

٣-١- المفاهيم:

- الانطباعية:

الانطباعية مدرسة أدبية فنية، معناها الانطباعية أو التأثرية حيث يقوم النقد على وصف الاحاسيس و الانطباعات التي تتركها قراءة النص الادبي في نفس الناقد بدلاً من أن يفسر النص الادبي في ضوء نظريات علمية، والحكم عليه حسب اصول و قواعد من الممكن أن يكون النص بعيداً عنها كل البعد عن النقد ، و هي النقد المهتم بإظهار الانطباعات العامة الظاهرة واهمال كل التفاصيل

بينما الانطباع الشخصي هو الإحساس العائد للمبدع بالدرجة الأولى، و لا يهتم بالمفهوم العقلاني للأمور، لأن أي عمل فني مروره سيكون عبر الفنان في مرحلته الأولى، وبالتالي لا بد أن يطبعه بطابعه الخاص، ويؤثر فيه، فتغدو الانطباعية تعبير عن أحاسيس فورية عن الأحداث وما يجري في العالم، فالمهم هو الانطباع الذي يضفيه الضوء على الموضوع لا الموضوع نفسه.(علوش، سعيد (١٩٨٥م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. دار الكتب اللبناني.١٤١).

فالانطباعية هي وصف للانطباعات، التي يثيرها الموقف في النفس انطلاقاً من تأثير العمل على الناقد، ومنهم من ينسبها إلى أسلوب المدن، لأنها تصف حياة المدينة بما فيها من تغير، وإيقاع عصبي، ومن انطباعات مفاجئة حادة ولكنها لا تدوم طويلاً لا بمعنى أنها عابرة زائلة، ولذلك تشمل توسع هائل في الإدراك الحسي (التكريتي، جميل نصيف (١٩٩٠م). المذاهب الأدبية. دار الشؤون العامة.٢٩٣)، والتي تبرز انطباع الفنان، أي تبين وتظهر ما تولده الأشياء الخارجية من أثر على الحواس. (موريس، سيرولا (١٨٩٢م). الانطباعية، ٥).

ومن خلال الانطباعية فإن الفنان يتلقى المؤثرات الجمالية من الواقع من حوله ، ثم يعمد إلى تخزينها في نفسه ، ويقيم بينها علاقات جديدة لم تكن موجودة في الواقع البيئي الذي استحدثت منه، وقد تبدو كل شكل تكتيف للموقف، وترميز غاية في الدقة والعمق، وكذلك تظهر على شكل تصوير الأشياء ، كما تخلق انطباعاتها في ذهنه في وقت ملاحظتها والعيش معها من دون الإيغال بتفاصيل أو الانسياب مع وحي منها. (خليل، إبراهيم، النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة. ١١).

الانطباعية تشك في جميع القواعد سواء منها السياقية والكلاسيكية الجديدة ، أو أية قواعد غيرها، فالقواعد أكثر جموداً وشكلية من أن يتأثر بها الناقد الذاتي الذي يستجيب للعمل الانفعالي (والفن لا يمكن أن يحكم عليه بالقواعد، وشكل الخروج على القواعد والذاتية واللذة والابتعاد عن النص ، وصفاً للناقد الجيد الذي يروي مغامرات النفس وسط روائع المؤلفات. (مبارك، محمد) ١٩٧٦م). دراسات نقدية في النظرية والتطبيق. وزارة الإعلام. ١٩٤٠).

- النقد الانطباعي:

يعد من أكثر أنواع النقد الأدبي والفني شخصانية، وهو يفترق عن بقية مناهج النقد، إذ يتخذ الناقد من المادة التي ينقدها حافزاً أو مثيراً إبداعياً ، لا يتعلق بضوابط أو مؤشرات العمل الإبداعي المراد نقده ، إنما يعمد الناقد أن يتكلم عن نفسه، محللاً في أجواء لا تتوافق مع معطيات النص المنقود ، أو تخرج عن الموضوع الذي حدده الأثر الإبداعي. (صليبا، جميل (د.ت). المعجم الفلسفي. منشورات ذوي القربى. ٦٥) .

والنقد الانطباعي منهجياً كان أم لا ، لا يتوصل إلا إلى تعريف الانطباع الذي يحدثه فينا، في زمن ما ، لأن ممارسة الانشغال بالذات لا تظهر إلا للحظة معينة ، حيث تأتي الانطباعية لتعبر عن الإحساس ، فيكتمل التعبير عن عملية الرؤية الذاتية ،

كبديل عن الرؤية الموضوعية، معتمداً الحس الذاتي الذي يمتاز في نظر الانطباعيين بالعفوية والحرية، فالتبشير التي تدل عليها الحواس هي تبشير أكيدة للانطباعية. (الطاهر، علي جواد) (١٩٧٩م). محاضرات في النقد الأدبي. المؤسسة العامة للدراسة. ٢).

فالناقد الانطباعي في مجمل أعماله ، يمتلك مؤشرات كأن يكون خاضعاً لتأثيرات الانفعال، لا يهتم بالتفسير والتحليل في إصدار الحكم، يتحدث عن أي شيء وكل شيء، يخرج عن الأثر المنقود، يكشف عن شخصيته بما فيها من آراء وأفكار، يكون صادقاً فيما انساق إليه، لا يستند إلى الانطباع الصرف، يخلق فكرة جديدة مستوحاة من النص.

٤- الدراسات السابقة:

١- دراسة بعنوان طه حسين والتأسيس لمنهج النقد الاجتماعي من خلال تحليل التراث الشعري العربي، الأمين تناح، ٢٠٢٢م:

في هذه الدراسة : حاول الباحث ورفاقه الكشف عن المنهج النقدي الذي سار عليه طه حسين في دراسة الشعر العربي القديم، في محاولة لتأسيس منهج نقدي من خلال الفكر العربي الحديث، حيث أن للنقد العربي أدوات إجرائية في نقده ، اقترحها النقاد منطلقاً من إشكالية ، تنص عن البحث في كيفية تأسيس طه حسين لمنهج نقدي اجتماعي ، ليصل إلى نتيجة مفادها: أنّ طه حسين جمع في تحليله الاجتماعي لين النقد الانطباعي العربي القديم ، والتحليل الغربي المنهجي ، وأسس لمنهج خاص ، ما زال يحتاج للمزيد من البحث.

وبطبيعة الحال ، إن كان الدارس مر بشكل هامشي على الطابع الانطباعي في نقد حسن ، إلا أننا سنبحث عن الانطباعية في منتوجه الشعري بشكل أساسي ، مع المرور على الجانب النقدي في أعماله.

٢- دراسة بعنوان (الانطباعية في النقد العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي) قصاب توفيق وجوال مسعود، ٢٠١٦م:

بحثت هذه الدراسة في الانطباعية في النقد العربي القديم في العصر الجاهلي ، وفي عصر صدر الإسلام ، وفي عصر بني أمية . من خلال التعريف بالانطباعية ، والبحث بين الشعراء في كل عصر ، والمفاضلة بينهم عبر البيئات النقدية واتجاهاتها ، وباعتماد المقاييس النقدية الانطباعية، والنظرات النقدية الانطباعية المميزة لكل عصر ، ليخلص إلى نتيجة : أن العربية في تلك العصور كانت تتمتع بحياة نقدية انطباعية تأثرية ، محورها نص الشعر العربي ، وأن الانطباعية في كثير من الأحيان توزعت بين الذاتية والموضوعية، التي تستند في جملتها إلى رؤية فنية ، وخبرة صحيحة لم تعتمد على قواعد محددة في نقدها؛ حيث كان للناقد الأدبي ومجالسه في مختلف العصور ، أثراً فاعلاً لا يقل أهمية في تطور الشعر.

وهنا وإن كان العنوان مشابه لبحثنا ، إلا أننا سنهتم بالتطبيق العملي على منتجات طه حسين الشعرية والنقدية ، للبحث عن طابعه الذي طبع به أعماله الأدبية.

٣- دراسة عنوان (الانطباعية وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر في العراق)، عبد الأمير محسن آل كزار، ملف إلكتروني:

يتناول المبحث الانطباعية وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر، واتخذ لذلك نموذجاً (علي جواد الطاهر) ، منطلقاً من أن النص وليد تيارات وتأثيرات مختلفة الجوانب والاتجاهات ، حيث بحث في تعريف النقد الانطباعي، وانتهى إلى تحديد أهميته ،

والحاجة إليه ليخلص إلى خلاصة أقر فيها باعتماد الطاهر المذهب الانطباعي في نقده ، معتمداً على مشاعره وأحاسيسه ، من خلال لغته الدرامية متضمناً عبارة : (يذكرنا بأسلوب طه حسين في كتابه حديث الأربعاء) ، وهذا ما سنركز عليه ، حيث تأتي الأحكام عبر انشغال الناقد بذاته ، فلا يهتم بالتفسير والتحليل في إصدار الحكم.

٤- مقال بعنوان قراءة في رؤية طه حسين النقدية، عبد المجيد زراقت، ٢٠٢٤م:

تحدث المقال عن طه حسين الأديب والتاريخ، وعميد الأدب العربي ، مشيراً إلى رؤيته النقدية الأدبية ، والمناهج التي اعتمدها في مقالاته ودراساته ، ومنها الانطباعية ، حيث لم يعتمد منهجاً محدداً ، وإنما يسلك سلوك من يريد الهدف لا الوسيلة ، وذلك من خلال رؤيته النقدية في كتاب الشعر الجاهلي، حيث قرر نحل الشعر ، من دون أن يلتفت إلى تضمن سياق بحثه ما ينقض ما يذهب إليه.

٥- التعريف بالشاعر طه حسين:

كاتب ومفكر وأديب مصري ، من رواد الأدب المصري والعربي الحديث ، وحركة التنوير في مصر. من مواليد محافظة المنيا في صعيد مصر، فقد بصره وهو لا يزال صغيراً، التحق بالأزهر وبعده الجامعة الأهلية، وغادر إلى فرنسا ، وأصبح أستاذ في الجامعة المصرية ، ثم عميد لكلية الآداب ثم عميد لجامعة الإسكندرية. زوجته سوزان بريسو، له إنتاج متنوع . غدا أول مصري يأخذ الدكتوراه من الجامعة المصرية عام ١٩١٤م، دعا إلى تخليص الأدب من المسلمات الغلط، والتأكيد على حرية الفكر والكتاب والأدباء، حيث اصطدم مع المتزمتين وطردوه فيما بعد من الجامعة ، فعاش حياته في معارك دائمة مع السلفية ، والاستبداد السياسي ، والظلم الاجتماعي، مؤلفاته متنوعة منها الرواية والدراسة والمقالة. يمتاز أسلوبه بالصياغة الكلاسيكية والألفاظ

الفخمة الواضحة المفهومة. (النمنم، حلمي (٢٠١٠م). طه حسين يستعيد أجواء معاركه، الشرق الأوسط. ٢) .

٦- الانطباعية في شعر طه حسين:

مع صعوبة الحصول على أشعار طه حسين مجموعة في كتاب واحد ، لأن مجموع مؤلفاته كان في الرواية والنقد . ففي قصائده التالية سنحاول رسم ملامح الانطباعية لهذا الشاعر :

قصيدة منذ مئة سنة للشاعر طه حسين ، نشرت حوالي عام ١٩٠٩م، مع بداية نشره في صحيفة مصر الفتاة يقول فيها:

لَا يَنَلُكُم مِّنْ دُونِ هَذَا فُتُورٌ	أَنْفِذُوا حِكْمَةً عَلَى كُلِّ جَانٍ
هـ يُجَانِبُكُمُ الْخَنَا وَالْفُجُورُ	ارْجُمُوا وَاجْلِدُوا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ
لَيْسَ كُفًا لِذَنْبِهِ التَّعْزِيرُ	إِنَّ مَنْ يَهْدِرِ الْفَضِيلَةَ يَهْدُرُ
هـ قَدْ كَانَ يَزِدْهِنِي السَّرُورُ	طَرَبَ النَّيْلُ ثُمَّ قَالَ لَعَمْرُ اللَّهِ
أَنْتَ وَاللَّهُ لِلنَّجَاةِ بَشِيرُ	أَمْحِبُّ لِلذِّينِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ
كُلُّ خَيْرٍ وَجَلَّتْهَا الشَّرُورُ	نَسِيتُ مِصْرَ دِينِهَا فَعَدَاها
مَلَّ فِينَكُمْ كِتَابُهَا الْمَسْطُورُ	أَهْمَلْتُ فِينَكُمْ الْفَضِيلَةَ مِنْ أَهْ
يَقْتَضِيهِ الْوَفَاءُ إِلَّا الْبُدُورُ	لَنْ تَرَى بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَفِيَّ
يُنْ غَضًا تَلِينُ مِنْهُ الصَّدُورُ	عَهْدَنَا بِالْوَفَاءِ أَيَّامَ كَانَ الدَّ

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. (٩١١). (١٠-١) .

الشاعر طه حسين درس في ربوع الأزهر أول بدايته ولكن لم ينجح في طريقه بعد رسوبه في امتحان الأزهر ، أصيب بالعمى بعمر ٣ سنوات وبعمر ٩ سنوات . أتم

حفظ القرآن الكريم ، عارض مناهج الدين وتعاليمه ، حيث مال إلى الإلحاد (حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. ١ (٩١١). ١٠-١).

وفي هذه الأبيات نلمح منه كيف يسخر برجال الدين ، وفق موضوعات هذه الأبيات التالية:

- موضوع الجن ، والذي يطلب فيه من رجال الدين ، ساخراً ومعارضاً تلك الأقاويل والنصوص الدينية ، التي من خلالها يحاربون الجن وتدخلاته في البشر، والذين بدورهم يسرعون إلى رجالات الدين ، لتخليصهم من هجوم رجال الجن الذي سيطر عليهم ، فيطلب الشاعر منهم الإسراع في إيجاد النصوص المبنية على الخداع لإيقافهم، كان ذلك يتطلب الدعاء والجلد بالسوط ، كما أمره الله حسب زعمهم ، لعلهم في النهاية يحمون أنفسهم من الخطأ ، والكلام الفاحش والكفر بما أنزل الله سبحانه.

هذه الصورة صورة واقعية منذ زمن الشاعر ، أي منذ أكثر من مئة سنة حتى يومنا هذا ، ولجوء رجال الدين إلى ضرب المريض ليخرج الجن منه، الشاعر حين يسخر منهم يعبر عن رأيه المبغض لهذه الطريقة ، فنفسه لا تقبل هذه الانحرافات ، وهذه نظرة شخصية لاقت اعتراضاً كبيراً من الوسط المحيط به، حتى الأزهر نفسه، والنتيجة التي يوصلنا إليها أنَّ الأمر برمته هو سقوط الفضيلة عن هؤلاء الرجال (رجال الدين) ، ومن يهدر الفضيلة يُهدر قدره ، لا يكفيه التعزير ليعود إلى رشده.

لنجد قد بلغ من الاعتراض درجة يدعو فيها إلى الانتقال إلى مرحلة تفوق التعزير ، فالأمر يحتاج القمع والإيقاف بالقوة وفق ما يراه.

- الموضوع الآخر في هذه الأبيات هو الاحتفاء بنفسه وبرأيه:

فقد غدا شيخاً فرح النيل به ، وقد طرب لهذه الفتوى التي أصدرها بحق دعاة التدجيل والعالم الآخر ، فكم اشتاق النيل لمثل رجل الدين هذا لأن مصر قد شارفت إلى الهلاك ، والآن مع ظهور هذا الرجل يبدو أن البشرى بالنجاة قد عادت ، فمصر قد ذهب من سجلها الدين ، فغدا الخير بعيداً عنها ، واستبدل الشرور الذي نشر نفسه فيها، حيث أهملت الفضائل والأخلاق والعلم ، حتى غدا الكتاب المنزل لا أنيس يأنس به ولا بما تضمنته.

ليرسم عبر صورة نهر النيل ، واقع هذا البلد وما يحدث فيه ، ليضيف الصبغة الشخصية الانطباعية من جديد عبر البيتين الأخيرين ، فأنت لن ترى بين أهل مصر من يفي بحق الدين ، إلا السادة القليلون الذين أتوا من العهد الذي كان فيه الدين يدخل القلب مرحباً ، فيخرج خيراً على الناس ولينا وحباً بهم.

إن في أبيات الشاعر طه حسين يقدم لنا رأيه كاملاً وفتاويه في مجال رجالات الدين ، والوضع الديني الذي تعيشه بلده في وقت نظم القصيدة ، وهذا ليس من اختصاصه وغير مطلوب منه ، ولكنه يضيف على القضية انطباعه حول مثل هذه المسائل ، ويدلي بدلوه فيها. وسمات الانطباعية كما وجدنا تتجلى في اختياره موضوعاً من الواقع، وصف إحساسه تجاه الموضوع ، من خلال الشر الذي انتشر والخير الذي أفل، عالجه بما يوافق رؤيته الخاصة ، حيث لم يستند إلى نصوص دينية أو أقوال القرآن والسنة ، بل أفتى برأيه واحتقن . حاول أن يفرض رأيه بالقوة في إظهار علاقات جديدة تتجاوز التعزير ، بالإضافة إلى السمة الأبرز ، وهي الشك في القواعد المتبعة في مجال موضوعات أبياته.

وما يؤكد تحليلنا قوله في الأبيات التالية من ذات القصيدة:

حَسْبُكُمْ فِي الْآدَابِ مَا قَالَهُ قُلٌّ تِيرَ أَوْ مَا أَتَى بِهِ فَيَكْتُورُ
نَعَمْ مَا قَالَ هَذَا وَنِعْمًا قَالَ الْعَلِيمُ الْخَمِيرُ
فَخُذُوا مِنْ كُلِّهِمَا بِنَصِيبٍ وَتَوَخَّوْا هَذَاهُمَا تَسْتَنِيرُوا

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. ١(٩١١). ١-١٠).

فهو يستبدل مراجعهم بمراجع تناسب عقله وتطلعاته، وفي هذه محاولته لإيجاد خطوة تلي التعزير الذي تحدّث عنه، والانتقال إلى مرحلة التثقيف ، وإعادة التهيئة من خلال أدباء وكتّاب ، يظنّ أنّ في أعمالهم مريب الفرس وفيها إنقاذ المجتمع المصري من واقعه الخرافيّ ، إذا كانوا يريدون للخير أن يحل من جديد، هذه العلاقة الجديدة التي يحاول أن يبثها ، ويجد لها موطئ قدم بين رجالات الدين ، وهي بعيد كل البعد عن أي متعلّق بهم فيها، من سمات الانطباعية الشيء الكثير فهو ينطلق إلى الحل بما يناسبه ، وأخذ يمتدح هؤلاء الكتّاب بعيداً عن موضوع الرسالة.

فهو ساخط على مصر ومجتمعها ، لما يحتويه من عيوب كثيرة عدّها السبب في تخلف مصر وتراجعها، فيتابع أبياته ليقول:

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. ١(٩١١). ١-١٠).

هي نظرتة لواقعه في بلده وانطباعيته ، تتجلّى في اختياره ما يراه معيباً ، حيث الكسل والافتخار المجازي الذي يبتعد عن العمل والنضال المرافق له ، بل كثر المدّعون الكاذبون والمغرورون الذين بدأوا يسيرون بمصر نحو الهلاك، فهو يشك في جميع القواعد المتبعة هذا طبعه، وكذلك يعالج المشكلة من وجهة نظره الخاصة.

والحل هو ما يراه هو لم يستند إلى حكاية بلد أو نص مجتهد أو نبي أو غيره ، ليجعله في العمل الذي يجب أن يفوق الأقوال، والبدء بالسير نحو الهدف ، إن أرادوا التخلص من هذا الواقع المذل.

وفي موقف آخر نجد يظهر سخطه الشديد على واقعه فيقول:

كَأَدِ يَقْضِي عَلَى الْبِلَادِ الْغُرُورُ	كَثُرَ الْمَدْعُونَ فِي مِصْرَ حَتَّى
كَسَلٌ مُخْجَلٌ وَفَخْرٌ كَثِيرٌ	حَسْبُكُمْ يَا بَنِي الْكِئَانَةِ عَجَباً
فَلَنْ يَبْلُغَ الْعَلَاءُ فَخُورٌ	لَيْكُنْ قَوْلُكُمْ أَقَلَّ مِنَ الْفِعْلِ
وَالْمَجْدُ أَمْرُكُمْ سِيرُوا	اجْمَعُوا إِنْ أَرَدْتُمْ السَّيْرَ لِلْسَّوْدِ

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. ١ (٩١١). ١-١٠).

هنا موضوع الأبيات كما نراه هو الوضع الثقافي من وجهة نظره فالكاتب الانطباعي موضوعه من واقعه يحسُّ به ويقرأه ويبحث في طياته ثم يبدأ بتسجيل إحساسه الفوري تجاهه والشاعر طه حسين يفعل هذا في هذه الأبيات فمتقفو عصرهم ليسوا بأحسن حال في نظره من رجالات الدين فالكاتب نائمون، والشعراء يلهون يمرحون، والأدباء أسرهم الواقع العربي بشموليته لم ينتبهوا ما آلت إليه مصر بلدهم الذي يعيشون فيه، فيسأل ساخراً أحمد الشوقي الشاعر المعروف بأنه ابن مصر ونيلها ليجيبه عن هذا الوضع المترديّ كشاهدٍ حقيقيٍّ على ما ذكره في بيته الأول وهذا انطباعٌ مغروسٌ في ذاته أخرجه ووضعه في أبياته الشعرية.

ليتابع شرحه وضع مثقفي عصره بأنهم قد رهنوا الديار التي سكنوها وغدروا بنهر النيل فما عاد الحل يجدي إلا بإهلاكهم، فيطلب من النيل أن يفيض فيأخذ دورهم ويغرقهم

وهو بهذا لا يدوه لينتقم أو يقتل بل يلجأ إلى الحكمة فأخر الدواء الكي ولا بد منه علّه يجدد مسار النيل فتجدد معه الحياة.

الشاعر في شكّه الداخلي بجميع القواعد السارية في عصره، يسخر من لقب شاعر النيل ودوره في رسم الواقع المصري ومعالجته، وكذلك دور المثقفين الذين يقفون وراءه بطبيعة الحال. ويظهر علاقات جديدة غير موجودة في الواقع عبر طلبه الحل من نهر النيل بعراقته أن يزيل من يعترض طريقه إلى لا يتناسب مع سيره، وهنا يظهر الطابع الخاص للشاعر بأنّ هذا منتهى الحكمة والتعقل.

وفي قصيدة يقارع فيها المحتلين أرض مصر ومن يجني خيراتها نجد كيف يعالج هذا الموضوع أيضاً انطلاقاً من طابعه الخاص فيقول:

تَيَمَّمُوا غَيْرَ وَادِيِ النَّيْلِ وَانْتَجِعُوا	فَلَيْسَ فِي مِصْرَ لِلْأَطْمَاعِ مَتَسَعُ
كُفُّوا مَطَامِعَكُمْ عَنَّا أَلَيْسَ لَكُمْ	مِمَّا جَنَيْتُمْ وَمَا تُجْنُونَهُ شَبَعُ
يَا لِلْكَثَائَةِ مِنْ مَنُكُودٍ طَالَعَهَا	مَاذَا يَجْرُ عَلَيْهَا النَّوْمُ وَالطَّمَعُ
مِنْ مِثْلِ أُنْبَائِهَا فِي سُوءِ صِفَتِهِمْ	مِنْهَا إِذَا مَا اجْتَنُّوا مِنْ غَرْسِهِمْ وَزَعُوا
هُمْ الَّذِينَ ابْتَنُّوا بِالْأَمْسِ وَاحْتَفَرُوا	فَمَا لَهُمْ إِنْ أَرَادُوا حَقَّهُمْ دَفَعُوا
لَا يَصْنَعُ اللَّهُ لِلْمُسْتَغْمِرِينَ فَكَمْ	يَلْقَى بَنُو النَّيْلِ مِنْ جَرَاءِ مَا صَنَعُوا
أَكْلَمَا جَاعَ غَزْبِي تَيَمَّمْنَا	حَتَّى إِذَا اكْتَظَّ أَغْرَاهُ بِنَا الْجَشَعُ
لَا جَادَ مِصْرَ حَيًّا لَا أَخْضَبَ أَبَدًا	فَحَظُّ أُنْبَائِهَا مِنْ خَضْبِهَا الضَّرْعُ
يَا نَيْلُ إِنْ سَغَتْ لِلْمُسْتَغْمِرِينَ وَلَمْ	تَطْبُ لَأُنْبَائِكَ الْعِلَاتِ وَالْجُرْعُ
فَلَا جَرَتْ وَلَا رَوَيْتَ ذَا ظَمًا	وَلَا أَمَدَكَ غَيْثٌ وَكِفٌ هَمْعُ

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة.

١ (٩١١). (١٠_١).

معالجة ظاهرة الاحتلال في نظر الشاعر الانطباعي ، أنّ هذا الاحتلال أخذ من مصر منتجاً له يصطاف ويمرح على ضفاف نهر النيل ، في مطمحٍ جديدٍ يبيده في أبياته ، وهو لم يدخل كثيراً في أي بحثٍ تاريخي عن أطماع المستعمرين فيها بهذه الصورة ، فيصوّروهم كأنهم وجدوا فيها مكاناً للسياحة ، فيقصّدونها متى شاءوا وأرادوا ، وهذا ناجمٌ عن انطباعٍ خاص بهذا الشاعر ، مطالباً بإنهاء هذه المطامع ، متسائلاً ألم يشبعوا من نهب خيرات البلاد؟ معزياً الأمر لسوء طالع مصر أرض الكنانة ، الذي يجلب لها دوماً هؤلاء التعساء ، فيستباحون أرضها وخيراتها ، وهنا أيضاً إظهارٌ لعلاقة جديدة من خارج الواقع الاعتيادي ، وربطها بعالم التجيم وطالع النجوم وتاريخ الميلاد ، حيث يبدو في رأي الشاعر أن مصر من يوم مولدها ، قد اتسمت بسوء الطالع وفق منظورٍ خاص يخرجها من خاطره ، يحمل صفة الأسى والحزن.

ثم يعود إلى ظاهرة الكسل والخمول الذي يسيطر على أبنائها ، فيجر عليها المحتلين ؛ وهذا مردّه إلى الانطباع المسيطر عليه في نظرتة لأهل بلده ، فسوء صفاتهم هذه هي التي جعلتهم يجتنون ما قد زرعوا في يومهم الماضي، فبالأمس هم الذي حفروا القناة ، واليوم إذا طالبوا بحقهم فعليهم أن يدفعوا ثمناً . وهنا أيضاً ظهور علاقة أخرى خارجة عن الواقع ، يضيفها على الأبيات عبر انطباعه الذي يعيشه ، فأهل مصر غدوا يدفعون ثمن حقّهم، فما أنعم الله به على مصر ، ليس نصيباً للمستعمرين بل هو لأهلها وأبنائها متسائلاً إلى مدى سيبقى هذا الحال؟

وفي سخريةٍ ممهورةٍ بطابع الشاعر الخاص ، يسخر من حالة بلده التي تأوي إليها الجياع من الغرب ، حتى غدت مكتظةً بهم يطمعون بكل ما فيها ، فما أنقذها منهم أحد ولا شبع أهلها من خيرها بل لهم الضرع والحليب لغيرهم، و أمام شكّه المستمر بكل القواعد التي تسير من حوله ، نجده يتحول إلى نهر النيل الذي بدا في أبياته

السابقة شاهده على رأيه، ومظلومة ممّن يسكن فيه وحوله، أما في هذه الأبيات ، فهو يشكّ فيه أن يكون قد منح المستعمرين أطايب مائه ، وحرّم أبناء مصر منها ، فإن كان ذلك ، فهو يدعو عليه بأن يتوقّف ، فلا يحري بعد ذلك ولا غدا راوٍ لعطشانٍ ، ولا هطلت عليه سحائب الأمطار ببركاتها وخيراتها.

فالشاعر الانطباعي شكّاك بطبعه ، يظهر علاقات جديدة غير موجودة في الواقع، ويستقي موضوعاته من واقعه، فيعالجها بطابعه الخاص وبإحساسه الفوري ، فيكون الحل على حسب رأيه الخاص ليس من ضمن ثقافته واطلاعه على غيره من الثقافات. ويتابع في تشخيص مشكلة بلده فيقول من القصيدة نفسها :

الذَّئِبُ ذَنْبُ بَنِي مِصْرَ فَإِنَّهُمْ الذَّيْنِ إِذَا مَا اسْتَخْضَعُوا خَضَعُوا

هُمْ الذَّيْنِ اسْتَبَدَّتْ فِي حُقُوقِهِمْ يَدُ الدَّخِيلِ فَمَا دَاوُوا وَلَا مَنَعُوا

هُمْ الذَّيْنِ يَقُولُ النَّاسُ إِنَّهُمْ إِنَّ صَادِقُوا مُلْهِيًا عَنْ جُوعِهِمْ قَنَعُوا

لَا أَكْذِبُ اللَّهَ كَمْ فِينَا ذُوو شَمَمٍ إِذَا أُرِيدَتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ فَرَعُوا

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة.

١(٩١١). (١٠_١).

الشاعر هنا يستمر في تأكيد ما انطبع في خلده ، أنّ أسباب التعاسة المصرية هي أبنائها الذين تغيرت حالتهم عمّا كانت عليه في سابق العصور ، وهذه من سمات الانطباعية ؛ حيث يستقرئ المشكلة الواقعية ، فيجعلها في خلده وينطق بما يلائم إحساسه الخاص بها ، فأبناء بلده هم المسؤولون عن الواقع المتردي الذي وصلوا إليه. فالذنب ذنبهم لأنّهم إذا ما كانوا مُخضعين لعدوّهم فسيُخضعهم، وهذا ما حدث ، فعندما أذعنوا بالخضوع استُعْلُوا ، فسلّبت حقوقهم من قبل الدخلاء ، فلم يقفوا بوجههم ولم يدافعوا عن هذه الحقوق، مذكراً إياهم بما يقال في شوارعهم ، أن أهل

مصر إن وجدوا من يلهيهم عن الجوع رضوا به، وهو هنا لا ينكر كرم الله عليهم ، ففيهم من يتصف بأخلاقه العالية والهمة ، التي تدفعه للوقوف بوجه كل كريمة تقف في طريق البلد وأهلها.

هذه القصيدة أيام الوزارة البطرسية، التي كانت في أيد المحتلين البريطانيين ، فكانت النعمة على كل من يدعمها، ويشدون أزرها ، فلا عجب أن يكون الشاعر من أولئك الناقمين عليها ، ولكنه لم يلجأ إلى الإشارة إلى الحكومة هنا ؛ بل اتجه إلى شعبه مؤنباً مستعتباً لائماً ساخطاً، فهو له نظرته الخاصة في المعالجة ، بما يعتمر في إحساسه ويخلد في انطباعه، فنكاد لا نلمس لأحدٍ آخر مثل هذا الرأي ، ولا نجده يلتجأ إلى أحد لتكوين رأيه.

وفي قصيدةٍ أخرى تحمل صفة المخاطبة لأعلى مكونات السلطة ، وهو الخديوي عباس بعد حجه أرض الطهر ، حيث عنون القصيدة (رجاء الدستور بعد الحج المبرور) إذ قال:

أَنْتَ وَالِدَسْتُورُ فِي الْحَدِّ	بِ لَدَيْهَا أَخَوَانِ
وَنَرَى حَجَّكَ بِالنِّيمِ	نِ لَهَا نِعَمَ الْبَشِيرِ
كُنْ لَوَادِي النَّيْلِ حِصْنًا	مِنْ عَوَادِي الْحَدَثَانِ
وَأَمْنَحِ الدَّسْتُورَ مِصْرًا	أَنْتَ إِنْ شِئْتَ قَدِيرُ
هَلْ سَمِعْتَ الصَّوْتَ يَدْعُو	كَ مِنَ الْقَبْرِ الْكَرِيمِ
إِنَّمَا أَنْتَ عَلَى النَّأِ	سِ وَصِيٍّ وَأَمِينُ
لَا تَذِدْهُمْ عَنْ صِرَاطِ الْ	حَقِّ وَالنَّهْجِ الْقَوِيمِ
أَرْضِ بِالدَّسْتُورِ مِصْرًا	تَرْضِ رَبَّ الْعَالَمِينَ

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة. ١(٩١١). ١-١٠).

في هذه الأبيات : يخاطب الشاعر رأس الدولة بعد عودته من الحج، فيستغل المناسبة ليطالب منه أن يقرّ دستور البلاد، الذي ينتظره أبناء هذا البلد، فيجد بعد حجه بشارة الخير ، فنراه يربط بين الخديوي والدستور في الحب ، فغدوا أخوان في هذا الحب ، ويظهر أمله بحجه الميمون بشارة لا يخفيها، وهنا لا نجده يحتفي بحجه ويضفي عليه ما يضيفه ، شاعر آخر من الجنة التي سيدخلها وزوال الذنوب ، وغير ذلك من الظواهر التي يتغنّى بها الشعراء في الحج ، والخطاب لرأس الدولة، فلا يكاد الشاعر هنا يقدر على إخفاء انطباعه الخاص بهذه المناسبة ، وسعيه لمعالجة مشكلة الدستور، الذي لم يقر بعد بحجة ذهابه للحج، وهذه العلاقة من خيال الشاعر ليست واقعية ، ولكنه بطبعه يشك في جميع القواعد حتى نعمة الحج لا نراه يحفل بها ، بل تجاوزها سريعاً بأسلوبٍ يحمل التهكم.

يطلب صراحةً من الخديوي أن يقر الدستور ، فيكون لأرض النيل حصناً من الأعداء وما يستجد فيها من أحداث ، حيث يجد الشاعر في الدستور الموعود رمز الأمان الذي يحلم به ، والمنقذ من الواقع المتردي لبلاده ، ليقحم فيه صوت نداء المصطفى (ص) من قبره ، حيث نادى الخديوي بذلك . وهذه أحد العلاقات الخارجة عن النص الواقعي ، وإنما مردّها لما يجول في ذهن الشاعر أثناء نظم أبياته ، مذكراً إياه بوصية المصطفى (ص) ، في أثناء حجّه بأنّه راعٍ ومسؤول عن رعيته ، وأمين عليهم وعلى حقوقهم، بل يزيد على ذلك بأن يأخذ بيدهم على صراط الحق والمنهج المستقيم ، ليفتي برأيه أنّ إقراره الدستور في مصر ، فيه نوال رضى الرب عليه، الأمر الذي لم

يمنحه إياه نتيجة حجه المقبول أو نتيجة استماعه لرأي المصطفى (ص) ، بل فقط يحصل عليه بعد إقراره الدستور .

لنلاحظ أن الطابع الخاص للشاعر طه حسين ، المتجلي في نظرتة الدينية لكثير من المناهج والتعاليم ، جعله لا يحفل بأمر الحج وما يُشاع عنه ، فعنوان قصيدته: (رجاء الدستور بعد الحج المبرور) ، كما ربط رضى الله على ملك البلاد بإقرار الدستور ، ورضا العباد وليس بحجه الميمون ، وهذا ملمح واضح يظهر للقارئ يعكس حقيقة إحساس الشاعر ، وشكّه بكل القواعد الرائجة في عصره ، وطريقة معالجته الخاصة لكل موضوع يعترض طريقه.

وفي شعره الوجداني نجده يقول فيها:

قَالَ: يَا خَلِيلِي سَلَامِي	حَبْدًا يَوْمَ الْقِرَانِ
حَبْدًا أُمْسُ فَقَدْ أَدَّ	نَى نَوَالًا غَيْرَ دَانَ
حَبْدًا لَيْلَةً أُمْسِي	رَاقَ لِي فِيهَا زَمَانِي
لَيْلَةً قَدْ نِلْتُ فِيهَا	مِنْ خُطُوطِي مَا شَفَانِي
أَنَا لَا أَحْمَدُ مِنْهَا	حُسْنَ تَوْقِيعِ الْأَعَانِي
إِنَّمَا أَحْمَدُ مِنْهَا	حُسْنَ أَنْسِي بِقُلَانِ
لَمْ أَرَلْ أَقْصِفُ حَتَّى	خِلْتُ أَنِّي فِي الْجِنَانِ
بَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَ	لِكَ زُفَّ الْقَمَرَانِ
آهِ يَا زَيَّاتُ مَا أَجَدُ	مَلَ سَاعَاتِ الْأَمَانِي
هُنَّ قَدْ هَجَنَ لِنَفْسِي	ذِكْرَ سِحْرِ وَعِنَانِ
أَنَا لَوْلَا سُوءَ حَظِّي	لَمْ أَكُنْ إِلَّا ابْنُ هَانِي

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ صَاقٍ
الشَّعْرُ عَنْ نَظْمِ التَّهَانِي
لَا تَلْمِني إِنْ دَعَوْتُ
الشَّعْرَ وَالشَّعْرَ عَصَانِي
جَلَّ حُبِّي لَكَ يَا زَيَّاتُ
عَنْ وَصْفِ الْبَيَانِ

(حسين، طه (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة. مجلة الرسالة.
١(٩١١). (١٠_١).

في هذه الأبيات يفرح الشاعر بيوم الزفاف ، مستشهداً صديقه الزيات - وهو أحد مفكري عصر النهضة المصرية- حيث ينتظر القارئ أن يجد وصفً جديداً يبهره على يدي هذا الشاعر ليوم من أيام العمر ، ولكن الشاعر ينادي خليله مبلغاً سلامه ، معبراً عن فرحه بهذا اليوم السعيد الذي غدا أمساً ولن يعود بعد الآن ، فكأنه أخذ من الزمان سعادة هذا اليوم، ففي تلك الليلة نال حظّه من دنياه كاملاً وهو ما انعكس فرحاً وسروره في وجدانه، ولكن ما يحمده ليس الفرح ، والأغاني والبهجة والسرور، إنما يمتدح أنسه بأحد الأشخاص ، حتى ظنّ أنه في جنّة من جنان الخلد ، فيها يزفّ قمران من الأقمار، وكأنّ كل ما يتمناه قد تحقق فقد أخرجوا من ذاته الشوق ، فأحس بالسحر يملأه، فهو لولا سوء حظّه ، لكان ابن هانئ متنبّي الغرب الأندلسي، وهو لا يجد في الشعر ما يفي بتعبيره تبريكاته، طالباً عدم لومه ، فحبة له يقف في وجه حسن بيانه. في أبيات الشاعر نجده في خضمّ فرحه بيومه الخاص ، والذي يحمل من المعاني ما يجعل أيّاً كان يتقرّد في وصفه ، ولكن شاعرنا لا ينسى عدة أمور انطبعت في داخله ، أولها فرحه بأنسه بمن يزف له ، وعدم اهتمامه بجو الفرح وفرح الزفاف الذي يحيط به، وكذلك لم ينس سوء حظّه الذي اتّسم به طول حياته ، فوقف حاجزاً أمام تحقيق ما يتمناه، ولم ينس محبة صديقه الذي ربطها بعجز شعره عن الإيفاء بمظاهر الفرح التي تحيط به وهذه من الانطباعات التي تجلّت في أبياته على شكل إحساس

خاص لا يخفيه، وإظهار علاقاتٍ جديدة ليست واقعية، مع شكّه المستمر في أنّ هناك ما ينقصه سواء في فرحه أو شعره أو في حياته.

ففي قوله (لم أزل أقصف) نجده يعبر عن خوفه المستمر من النهايات ، ومن لحظة الفرح التي يعيشها كيف ستكون نهايتها ، إلى أن شعر بالفرح والسحر بعد أن انطلق ذاته المقيدة والمكبلة بطابعها الخاص ، الذي يمنعه من الفرح الحقيقي ، ولكنهم هيجوا نفسه فترك لها العنان لتفرح وتحس وتشعر .

وفي قوله (آه) في مثل هذا اليوم السعيد ، لا ينسجم إلا ما الانطباع المرتسم في ذاته المليئة بالمآسي ، والتي لا يمكنه تجاوزها حتى في ساعاتٍ اعترف بأنه قد صفا له فيها الزمان.

كما نجده كيف كرر كلمة (أنا) ، وضمير المتكلم (بكثرة) رسماً رأيه الخاص ، المتخبط في كلّ لحظة من لحظات الفرح وكذلك في الخطاب الشعري.

وفي شعره الغزلي نجده يقول:

مَذْكَانَ لِي بِالْهَوَى يَدَانِ	كَمْ حَمَدَ الْغَيْدُ مِنْ بَلَائِي
ثُمَّ انْتَنَى عَنْهُمْ عَنَائِي	تَحَكَّمَ الْغَيْدُ فِي دَهْرًا
مَضَى حَيْنًا بِلَا تَوَانِي	لَا أَكْذَبُ اللَّهَ إِنَّ عَامًا
دُمُوعُ عَيْنِي كَالْجُمَانِ	إِذَا تَذَكَّرْتُهُ اسْتَهْلَتْ
أُبَاكِرُ اللَّهَ غَيْرَ وَاوِي	إِذْ أَنَا فِي لَذَّةٍ وَأَمْنٍ
فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا افْتِنَانِ	أَرْضَيْتُ بِالطَّيِّبَاتِ نَفْسِي
يَذُودُنِي عَنْ رَبِّي الْجَنَانِ	مَا أَخَذَ الْكَاتِبَانِ سُوءًا
فَأَنِّنِي مِنْهُ فِي أَمَانِ	إِنْ كَانَ فِي قُبْلَةٍ جَنَاحُ

لَمْ أَسْتَبِخْ نِيْلَهَا فُجُورًا بَلْ قُلْ بِالْحَلِّ (مُفْتِيَانِ)
قَدْ نِلْتُهَا وَاسْتَزِدْتُ مِنْهَا لَوْ بَعْضَ مَا نِلْتُهُ كَفَانِي
ثُمَّ طَوَى الدَّهْرُ ذَاكَ عَنَّا لَيْتَ الرَّدَى قَبْلَهَا طَوَانِي

يتغزل الشاعر بتلك الفتيات الجميلات اللواتي التقاهن ، فحمدوا الله على بليته في عماه إذ لم يكن له سوى يدان فقط، فلقد تحكّموا به طول حياته لضعفه وقلة حيلته ، فرباطه بأيديهنّ ولا يقوى على فعل شيء، حيث مرّ عمره مسرعاً لم يشعر به ، فإذا ما ذكره فاضت عيناه بالدموع التي تنسكب كحبات الدر من عينيه، أيام كان يحبّ اللهو ويستلذّ به ، غير آبه بمن يستنكر منه ذلك، فذاق الطيبات متلذّذاً غير مفتتنٍ بها ، ولا منساق وراء شهواته، فلم يسجل عليه الملكان الموكلان به ما يمنعه من دخول الجنة ، فهو في أمانٍ وأمن .

الشاعر طه حسين في تغزله لا يغادر سماته الشخصية والخلقية ، ولا يغفل عنها ، فلا يجعل شعره مبنياً على صورٍ لا يراها حقيقةً ، بوضعه الذي ابتلي به منذ صغره ، بل جعل هذا الألم الذي يعيشه نعمةً شعرت بها الفتيات اللواتي يلتقي بهنّ أيام الشباب ، فقد أمنوا جانبه فهو لا يرى ، ولا يمتلك سوى يديه ، وإن أكثر فله القبله سلاحٌ آخر ووحيد، حتى أن الملاكين الموكلان به ، لم يسجلا عليه أية ذنبٍ في ذلك، وهذه الصورة الجميلة ، مردّها لما ارتسم في خلد الشاعر وعاشه راضياً به.

في أبياته الأولى ومع ظهور كلمة الغيد ، يدرك القارئ أنّه أمام شعرٍ غزليّ فلا بد من انتظار تفاخر الشاعر بمحبوبته ،وجمالها ودلالها وغنجها أو لقاءاته معها ، أو حرمانه منها وشوقه الذي يراه ، وغيرها من اللحظات التي عالجها الشعر العربي ، ولكن شاعرنا عبر إحساسه الخاص تجاه هذه القضية ، وصفاته المنطبعة في شخصيته ، ينطلق من حالته الجسدية الخاصة في معالجة هذه القضية ، فحولها إلى شاهدٍ على

عقته وقناعاته بدنيائه ، فطبع الموضوع بطابعٍ خاصٍّ محض ، لا يسري ذلك على أشخاصٍ آخرين.

وفي موقفٍ غزليٍّ آخر يقول:

نَفْ حُبِّ الْحَقِّ أُولَى	أَيُّ هَذَا الْعَاشِقِ الْمُدِّ
ثُتَّ وَلَكِنْ لِلْفَضِيلَةِ	دُونِكَ الْعِشْقُ إِذَا شَدَّ
وَأَيَّ عَمَّا كَانَ جَهْلًا	أَنَا أَنْهَاكَ مِنَ الْأَهْ
لِي عَنْ حُبِّ الرَّذِيلَةِ (١)	إِنَّمَا أَرْبَأُ بِابْنِ النَّيِّ

في غزلياته طابعٌ شخصيٌّ يظهر بوضوح ، وهو الزهد في هذا الأمر ، وهنا يظهر بشكل واضح وجلي فهو يفضّل حبّ الحق وعشقه ، لأنّه أولى بهذا العشق من غيره، فعلى المرء أن يحبّ الحق ويعشقه ، لأنّ العشق والحب يكون للفضيلة، وبهذا ينها من يعشق أن ينساق وراء أهواء نفسه ومتطلباتها

لنجد كيف أظهر إحساسه الداخلي على شكل فتوى ، تنهي موضوع الغزل الذي ستدور حوله الأبيات، وكأنه رجل دين يدعو إلى حب الإله وحده، وهذا انطباعٌ تجلّى في كل أشعاره الغزلية التي بين أيدينا ، فهو يشك في العلاقة الغزلية التي تجمع الشبان والفتيات ، ويعلم أنها لا تنتهي إلا بما لا يحب أن يعيشه أو يسمع منه ، فينادي بالفضيلة والعشق الحقيقي للإله الواحد، فيقول في موضعٍ آخر:

قُلْتُ لَيْسَتْ بِحَرَامٍ	سَيَقُولُونَ حَرَامٍ
فِي الْهَوَى مَا كَانَ رِجْسًا	إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي

أَيُّ دِينٍ أَوْ كِتَابٍ
لَمْ يَبْحُ وَرَدَ الْغَرَامُ
لَا شَفَى اللَّهَ لِأَهْلِ الْمَدِّ
بَيْنَ وَالتَّضَلُّيلِ نَفْسًا (٢)

وهنا يسابق من سيحكم عليه بتحريم الحب والغرام ، فيقول هو ليس محرم لأن الله إنما حرّم الفواحش والقذارة ، فلم يأت في كتاب من الكتب تحريم الحب ، بل أباح محبة الجمال والطهارة، داعياً بالهلاك على أهل الكذب والضلالة ، بأن لا يقوم له قائمة كيف يكذبون على الله ويحرمون ما لم يحرم.

فالشاعر قولهم ما يشعر بداخله أنهم سيقولونه ، وهو لم يسمع أحداً يقول ذلك ، وإنما من خلال (السين) استشرف أقوالهم، وأظهر ما يراه بداخله ، ويشعر بوجوده فطرحة بلغت وإحساسه ، وعالجه بمفهومه ورؤيته للأمر. ثم يتطرق في مواضيعه الغزلية مستكماً انطباعه الخاص حول هذا الموضوع ، والذي نراه كم يختلف عن غيره من الشعراء الذين يدافعون عن الأنثى ، ويصورونها بصورة جمالية عالية المستوى قال:

إِنَّ لِلْغَيْدِ خِدَاعًا
رُبَّمَا فَاتَ الْفَطْنُ
أَنَا قَدْ جَرَّبْتُ مِنْهُ
إِنْ تُصَدِّقْنِي صُوفًا
لَيْسَ يَكْفِي عَذَرَاتِ
الْغَيْدِ قَوْلًا لَيْسَ
إِنَّمَا يَأْمَنُ مَكْرَ الْغِي
دِ مَنْ كَانَ شَرِيفًا (٣)

شاعرنا إذن لم يحرم الحب ولكنه نادى بالفضيلة، ثم نادى بالحب للحق فهو الأحق بالحب، والآن يحذر من الغيد وهن الفتيات الفاتنات اللواتي يسلبن لبّ من نظرهنّ ، لجمالهنّ وحسن خلقهنّ فلهنّ ، فتنتهنّ التي تؤدي بمن يتصف بالذكاء والخبرة، فالشاعر قد جرّب منه ما خدعه وظنّه ناعماً كالصوف، وهذا الغدر الذي يحملنه لا يفي بالحماية منه أن تكون ذا قول حسن وجراً، وإنما الحل الوحيد هو في الشرف الذي تتحلّى به وعدم الانزلاق وراء الشهوات واللذائذ ، بهذا تأمن جانبهنّ فقط.

إن الشاعر يطبع أبياته بطابعه الخاص ، حول مجمل قضية الحب بأنواعه وحقيقته ومساره ونهايته، ليظهر تلك العلاقات الجديدة التي تنغمس في وجدانه ، فيطالعها للحياة ويُحدِّث الناس بها عبر منحها إحساسه وطابعه الخاص به. وفي الهجاء له قصيدة تحمل عنوان (إلى عبد الرحمن شكري) يقول:

قُلْ لِشُكْرِي فَقَدْ عَلَا وَتَمَادَى	بَعْضُ مَا أَنْتَ فِيهِ يَشْفِي الْفُؤَادَا
بَعْضُ هَذَا فَأَنْتَ فِي الشَّعْرِ وَالذِّ	ثُرِ أَدِيبٌ لَا يُعْجِزُ النِّقَادَا
لَوْ تَفَهَّمْتَ قَوْلَنَا لَمْ يَكْلَفْ	كَ هَوَى نَقْدِنَا الصَّنَى وَالسُّهَادَا
عُدْ إِلَيْهِ تَجِدْ شِفَاءَكَ فِيهِ	إِنَّمَا نَمَقَّتْ الْحَدِيثَ الْمُعَادَا
وَاقْتَصِدْ فِي الْغُلُوِّ إِنَّ لَدِينَا	إِنْ تُسَائِلْ بِنَا نِصَالًا حِدَادَا
خَلَّ عَنْكَ الْقَرِيضُ إِذْ لَسْتُ أَمْضِي	فِيهِ سَهْمًا وَلَا بِأُورِي زِنَادَا
إِنْ تَكُنْ مُكْتَرًّا قَرَبَ مَقْلٍ	حَاوَلَ الْقَوْلَ مَرَّةً فَأَجَادَا
كُنْ إِذَا شِئْتَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا	لَمْ نَحَاوِلْ لِمَا تَقُولُ انْتِقَادَا (٤)

طابع شاعرنا الهدوء والعقلانية ، وحتى في هجائه لا يخرج عن هذه الطباع ، فنجده يخاطب منتقده الذي غالى في نقده ووصفه ، مذكراً إياه بعيوبه التي يحملها والتي تكفي للتشفي منه، فمنها أنه أديب لا يكلف النقاد كثير العناء في نقد أعماله وانتقاص قدرها، ومن ثم يعود إلى هدوئه ، مبيناً أنَّ في انتقاده لأعمال شكري ، إنما دواءٌ يفيد في علاج ما ينقصه ، وما كان من أمر يستحق منه هذا الانفعال ، والعودة إلى أحاديث ذكرها قبل ذلك وينمقها الآن، مطالباً إياه أيضاً بالاعتدال في نقده ، فشاعرنا لديه ما يكفي من النصال للأخذ بحقه.

النتائج:

- ١- من خلال تتبع أشعار الشاعر طه حسين يمكن أن نحكم عليه بأنه انطباعي السمة فمن خلال قصائده تتجلى لنا صفات شخصيته بالتالي:
 - أ- حزين على واقع أمته ومناضل ضد التخريفات والأضاليل التي انتشرت في عصره.
 - ب- يحب أرض مصر كثيراً ولكنه كير اللوم لأبنائها الذين فرطوا بها ودعوته لهم للخروج من واقعهم.
 - ج- وحيد يبحث عن النصر فيدعو مثقفي عصره لإيجاد حلول للواقع الذي يعيشونه وإخراج بلادهم مصر بالتحديد من ظلامه عصرهم.
 - د- مقاوم عزيز النفس يدعو إلى مقارعة احتلال لبلده، لائماً أهل البلد لتقصيرهم في الدفاع عنها
 - هـ- قنوع النفس لا يتأثر بمناصب خطبائه، ويغلب المصلحة العامة على مصلحته الشخصية.
 - و- عاشق صادق في شعره الوجداني صفات حبّ عذري مكلل بالطهارة ودعوة للحب الحقيقي البعيد عن الشهوات، وصون النفس والحذر من مهالك طريق الفاحشة.
 - ز- متعلّق وهادئ ومتروّي في الهجاء يدعو الطرف الآخر لإعادة النظر.
 - ح-الشاعر يطبع أبياته بطابعه الخاص في قصائد الحب بأنواعه وحقيقته ومساره ونهايته، ليظهر تلك العلاقات الجديدة المنغمسة في وجدانه ، فيطالعها للحياة ويُحدّث الناس بها عبر منحها إحساسه وطابعه الخاص به.
 - ط- في غزليات الشاعر طابعٌ شخصيٌّ يظهر بوضوح ، ويظهر أحاسيسه الداخلية على شكل فتاوى يبرزها للعلن.

ي- الطابع الخاص للشاعر طه حسين ، يتجلى في نظرتة الدينية لكثير من المناهج والتعاليم ، جعله لا يحفل بأمر الحج وما يُشاع عنه و لا يبرز دجل رجال الدين و يفضحهم.

ك- يظهر الشاعر في انطباعيته مآسيه من حاله و حال بلاده و حال العباد من خلال ابیات شعره

هذه الصفات تبدو جلية وواضحة في أشعاره وهذا مردّه للانطباع الخاص الذي يطبعه طه حسين لمنتجاته الشعرية فمن خلالها تعرف صفاته المعنوية، بالإضافة إلى مواضيعه التي يتحدث عنها والتي استقاها من واقعه (الدين، الاحتلال، الغزل، الهجاء...) وكذلك الحلول التي يقدمها نابعة من رؤيته الخاصة لا يعتمد فيها على رؤيته الثاقبة للأمور أو ثقافته الاطلاعية الواسعة

الهوامش

- (١) - طه حسين، مقال بعنوان عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة، محمد الكيلاني، مجلة الرسالة، العدد ٩١٤، ٢٠١٥م، ص ٨.
- (٢) - طه حسين، مقال بعنوان عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة، محمد الكيلاني، مجلة الرسالة، العدد ٩١٤، ٢٠١٥م، ص ٩.
- (٣) - طه حسين، مقال بعنوان عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة، محمد الكيلاني، مجلة الرسالة، العدد ٩١٤، ٢٠١٥م، ص ٩.
- (٤) - طه حسين، مقال بعنوان عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة، محمد الكيلاني، مجلة الرسالة، العدد ٩١٤، ٢٠١٥م، ص ٩.

المصادر:

١. إبراهيم طه أحمد (١٩٨٩م)، تاريخ النقد العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. أسعد، يوسف ميخائيل، سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.
٣. التكريتي، جميل نصيف، (١٩٩٠م)، المذاهب الأدبية، دار الشؤون العامة، بغداد.
٤. الطاهر، علي جواد، (١٩٧٩م)، محاضرات في النقد الأدبي، المؤسسة العامة للدراسة، بيروت.
٥. النمنم، حلمي، (٢٠١٠م)، طه حسين يستعيد أجواء معاركه، الشرق الأوسط.
٦. خليل أحمد محمود، (١٩٩٦م)، في النقد الجمالي، دار الفكر، دمشق.
٧. خليل، إبراهيم، النقد الأدبي الحديث، دار المسيرة، الأردن.
٨. رضا محمد، (١٩٩٨م)، علم الجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.
٩. علوش، سعيد، (١٩٨٥م)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، ط ١.
١٠. فهمي ماهر حسن، المذاهب النقدية، القاهرة، د.ت.
١١. سيرولا موريس، (١٨٩٢م)، الانطباعة، ترجمة: هنري زغيب، بيروت.
١٢. سانتيانا جورج، الإحساس بالجمال، ترجمة مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
١٣. صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، منشورات ذوي القربى، د.ت.
١٤. طه حسين، (٢٠١٥م). عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة، محمد الكيلاني، مجلة

الرسالة، العدد ٩١٤.

١٥. مبارك، محمد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٦م.
١٦. حسين، مجيدي، (٢٠١٢م)، النقد الأدبي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية، مجلة إضاءات نقدي.
١٧. محمد، مبارك، (١٩٧٦م)، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، وزارة الإعلام، بغداد..

Sources

1. **Ibrahim Taha Ahmed** (1989), History of Arabic Criticism, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.
2. **As'ad, Youssef Mikha'il**, Psychology of Creativity in Art and Literature, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-Amma, Baghdad, n.d.
3. **Al-Tikriti, Jamil Nasif** (1990), Literary Schools, Dar al-Shu'un al-Amma, Baghdad.
4. **Al-Tahir, Ali Jawad** (1979), Lectures on Literary Criticism, General Foundation for Studies, Beirut.
5. **Al-Nimnam, Hilmi** (2010), Taha Hussein Recaptures the Atmosphere of His Battles, Al-Sharq al-Awsat.
6. **Khalil Ahmad Mahmoud** (1996), On Aesthetic Criticism, Dar al-Fikr, Damascus.
7. **Khalil, Ibrahim**, Modern Literary Criticism, Dar al-Masira, Jordan.
8. **Rida Muhammad** (1998), Aesthetics, University Foundation for Studies, Beirut.
9. **Al-Aloosh, Said** (1985), Dictionary of Contemporary Literary Terms, Dar al-Kutub al-Lubnaniyya, Beirut, Lebanon, 1st edition.
10. **Fahmi Maher Hasan**, Critical Schools, Cairo, n.d.
11. **Siroula Morris** (1892), Impressionism, translated by Henry Zghib, Beirut.
12. **Santayana George**, The Sense of Beauty, translated by Mustafa Badawi, Anglo-Egyptian Library, Cairo, n.d.

13. **Saliba, Jamil**, Philosophical Dictionary, Publications of the Close Ones, n.d.
14. **Taha Hussein** (2015), Dean of Arabic Literature for Forty Years, Muhammad al-Kilani, Al-Risalah Magazine, Issue 914.
15. **Mubarak, Muhammad**, Critical Studies in Theory and Application, Ministry of Information, Baghdad, 1976.
16. **Hussein, Majidi** (2012), Contemporary Literary Criticism and Its Influence from Western Approaches, Illuminations in Criticism Journal.
17. **Muhammad, Mubarak** (1976), Critical Studies in Theory and Application, Ministry of Information, Baghdad.